الاوسط . ولكننا نعترف له بجرأته على الوقوف الى جانب العرب ، ولو جزئيا ، في بلاد العداء للعرب . ومطالبته بحقوقهم في بلد يخطط لسلب هذه الحقوق .

واذا عدنا الى موقف فولبرايت من النزاع في الشرق الاوسط ، وجدنا فيه التجسيد العملي لافكاره السياسية ونظرياته الفلسفية الخاصة بالمشاكل العالمية : فهو يعتبر أن مصلحة بلاده الوطنية لا تتحقق عن طريق اشعال الحروب في ارجاء العالم ، بل في المساهمة باحلال السلام في العالم ، وخاصة في العصر النووي الذي يمكن ان تتصعد فيه الحروب المحدودة الى مستويات اعلى واكثر شمولا . ويؤمن بأن على الدول — وخاصة الدول الكبرى — أن تبحث عن مجالات للتعاون ، وأن تسعى لايجاد حلول وسط لجميع الخلافات ، بغية تجنب اهوال حرب نووية تدمر العالم . ويعادي فولبرايت العنف بكل أنواعه ومظاهره . وهذا ما جعله يساهم في بناء سياسة الوفاق الدولي ، ويدعو الى قبول الصين في الامم المتحدة ، وينادي دائما بتوسيع نطاق التعاون بين الدول الكبرى ، وتطبيق الحلول الوسط خارجيا وداخليا . وتبدو الطوباوية واضحة في فلسفته وأفكاره . فهو ضد العنف ، ولكنه يؤيد مصالح الامبريالية الجديدة ويؤكد النظام الرأسمالي ، وكلاهما في جوهره قهر واستغلال (عنف حتى ولو لم يأخذ شكل العنف) . وهو ينادي بالحلول الوسط بالنسبة الى المشاكل الداخلية ، متجاهلا أن هذه الحلول « اصلاحية » لا تستهدف سوى تمويه الصراع الطبقي ، وتدجين المقهورين طبقيا ، واخضاعهم لعنف واستغلال الطبقات المسيطرة دون استخدام العنف بمعناه الكلاسيكي . وهو يطالب بايجاد الحلول الوسط للمشاكل الخارجية متجاهلا التمييز بين المشاكل الخارجية الناجمة عن تناقضات المصالح الجزئية الثانوية ، والمشاكل النابعة من صدام تناقضات المصالح الحيوية المصيرية . وقد يكون من المقبول ان تساوم الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على عدد الرؤوس النووية في ترسانات كلا المعسكرين ، أو على التجارة او السياحة . ولكن المساومة تغدو مستحيلة عندما تدور حول قطعة أرض اميركية او سوفييتية ، أو حول مستقبل جزء من الشعبين الاميركي او السوفييتي . وبوسع العرب مثلا ان يدخلوا في مفاوضات حول مراحل الانسحاب الاسرائيلي ، وسعتها ، وتوقيتها ، واسلوبها ، والمراحل التي تليها ، ولكنه ليس بوسعهم المساومة على حقهم في الارض ، او حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، او حق اي جزء من الشعب العربي في الوجود الحر والكريم . واذا كان فولبرايت الذي سمي بمعلم الروية يعترف بضرورة « الحرب الخلاقة» أحيانا ، اي الحرب التي تؤدي الى السلم ، فان عليه ان يعترف بحق العرب بشن « الحرب الخلاقة » التي تحرر أرضهم وارادتهم من القهر الصهيوني ، لان هذا التحرير هو المدخل الطبيعي للسلام العادل والدائم ، لان أي سلام لا يضمن العدالة لا يمكن الا ان يكون مؤقتا وقلقا .

ان صغر العالم ، وترابط مصالح دوله وتشابكها ، وخصوصية الصراع العربي — الاسرائيلي ، وقيام الدول العظمى (وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) يلعب دور اساسي فيه ، عبارة عن عوامل تجعل لخروج فولبرايت من الكنغرس الاميركي معنى خاصا بالنسبة الينا . وقبل الحديث عن هذا المعنى لا بد لنا من التأكيد على الحقائق التالية : ١ — ان حركة الافراد في المجتمعات الرأسمالية وأفكارهم ومواقفهم لا يمكن ان تبدل الخط العام للسياسة الداخلية او الخارجية في الدول الرأسمالية . وأن هذا التبديل لا يتم الا بفضل حركة الجماهير المسحوقة داخل المجتمع الرأسمالي ، ٢ — ان الافراد المعارضين للسياسة الامبريالية في المجتمع الرأسمالي ، قادرون على القيام بدور تحريضي اذا ما وصلوا الى مواقع سياسية مؤثرة ، ولكن